المقـدمـــــــة

الحمد لله الذي علّم بالقلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصحِ العرب والعجم . وبعدُ . فهذه دراسة بعنوان : التأويل والسياق في تفسير" في ظلال القرآن " لسيد قطب ، والذيتميّز أسلوبه بالتأليف بين المعاني النحوية واللغوية والأغراض البلاغية ، وكأنه يسير على طريقة عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - وكان يعجبه ذلك منه ؛ حيث قال في حديثه عن الجمال والتصوير الفني في القرآن :" رحِم الله عبدَ القاهر الجرجاني ... لقد كان النبُع منه على ضربة مِعوَل فلم يضربها ... فلقد أوشك أن يصل إلى شيء كبير في كتابه دلائل الإعجاز ..."

أما عن الموضوع - التأويل والسياق - ؛ فمن المعروف أن نظرية السياق من النظريات الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين على يد (فيرث J.R. Firth) ، والتيتُعنى بدراسة المعنى عن طريق توظيف كل ما يحيط بالموقف الكلامي من قرائن لفظية وحالية أو مقامية ؛ فهي نتاج الدرس الغربي لا مِراَء ، لكن جذورها ممتدة ومتشعبة في تراثنا العربي العريق سواء عند البلاغيين أو النحويين أو الأصوليين ولكنها لم تحظَ بالعناية التي حظيت بها في الغرب . وهي النظرية التي اعتمد عليها المفسر في تفسيره للقرآن الكريم حيث يعتمد على السياق في فَهم القرآن كما هو واضح من اسم الكتاب **(في ظلال القرآن)** ونتيجةً لذلك نجده يخالفأحياناً أسباب النزول وكثيراً من آراء المفسرين القدماء والمحدثين لاعتماده على السياق ، كذلك لا يدخل في الغيبيات مادام السياق لم يفصح عنها ، وغير ذلك مما ستوضحه الدراسة.

كما أنه يعتمد على التأويل سواًء كان على مستوى الألفاظ ، أو على مستوى المعاني ؛ حيث يذكر أكثر من معنى ُمحتَملٍ أو وجهٍ لبعض الآيات ، ويقول برأيٍ آخَر قد يحتمله اللفظ أو يعضّده الدليل.

١- أسباب اختيـــــــار الموضـــــــــوع :

١ - دراسة المفهوم اللغوي والاصطلاحي لظاهرة التأويل وتتبعها في تاريخ الفكر العربي من تفسير وفقه وأصوله وغيرها ومعرفة كيفية انتقاله إلى الدرس النحوي.

٢ - الوقوف على هذه الظاهرة في تاريخ الدرس النحوي وتوضيح أهميتها فيه ، وكيفية استخدامها في بعض النماذج النحوية.

٣ - كثرة دوران كلمة التأويل في كتب النحو المختلفة وكتب المفسرين - بألفاظ مختلفة - ومؤلفات إعراب القرآن الكريم ؛خوفاً من التداعي أمام الشاهد القرآني الفصيح وغيره من كلام العرب .

٤ - فهم السياق بنوعيه ، والتعرف على جوانب جديدة من خلال الاستعمال اللغوي .

٥ - الربط بين التراث النحوي والسياق اللغوي وتغير الدلالة الأصلية.

٦ - الانتقال من نحو الجملة ليشمل نحو الفقرة أو النص بأكمله .

٧ - إلقاء الضوء على تفسير الظلال ، وما به من ذخائر لغوية ونحوية وغيرها.

٨ - تأكيد إعجاز النص القرآني وتفوقه على ما سواه .

٩- الإفادة من الدراسات اللغوية الحديثة مثل نحو النص وبلاغة الخطاب ... إلخ.
١٠- الكشف عن منهج المفسر في تحليل الظواهر اللغويةتحليلاً صوتًيا أوصرفياً أونحوياً أودلالياً أو بلاغياً .

٢- أهمية الموضوع :

١- الربط بين العلوم اللغوية والسياق والقاعدة النحوية على أساس دلالي ؛ مما يوضح تكامل العلوم العربية وتضافرها لخدمة النص اللغوي .
٢- بيان غِنى التراث اللغوي من خلال تفسير الظلال الذي يُلقيه على من شأن السياق بنوعيه ويجعلهمحوراً لفهم الآيات .
٣- التعرف على جوانب جديدة من خلال الاستعمال اللغوي .
٤- بيان الصبغة الربانية في النص القرآني المعجز الذي يفوق الإدراك البشرى والتي تجعل من المستحيل ترجمتهحرفياً إلى أية لغة أخرى بل القصورأحياناً عن التعبير عن معانيه بألفاظنا البشرية.
٥- العودة إلى فهم القرآنبعيداً عن الخلافات الفقهية والآراء الفلسفية والإسرائيليات وغيرها.
٦- أن فيه معالجةً لكثيرٍ من القضايا التي ما زال الكلام يدور حولها حتى الآن ، مثل قضية الجبر والاختيار والإعجاز العلمي في القرآن ونظرية دارون ، وتحكيم العقل على القرآن وغيرها.

٣- الدراسات السابقة :

١- السياق اللغوي عند الزمخشري في الكشاف - الباحث/ أحمد عبد الرحمن متولي ، إشراف : أ.د / محمد حسنين صبره - ماجستير ٢٠٠٦م.
٢- التأويل النحوي في القرآن الكريم ، الباحث/ عبد الفتاح أحمد الحموز ، إشراف / أ د. عبد الرحمن السيد ، دكتوراه ، دار العلوم ١٩٨١م .
٣- قرينة السياق في التركيب القرآني ، الباحث/ إبراهيم محمد أحمد الدسوقى ، إشراف /أ. د/ تمام حسان- ماجستير ٢٠٠٠م.
٤- دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية في القرآن الكريم ، ماجستير - الباحثة/ إيمان أحمد جمعة الشيخ ، إشراف/ أ.د. محمد عبد العزيز عبد الدايم ، أ.د. أحمد عبد اللطيف الليثي - دار العلوم/ ٢٠٠٨م.
٥- الترابط الدلالي بين الآيات والسور وأثره في التفسير ، الباحث/ يوسف رمضان أحمد سيخوك - دكتوراه ، إشراف/ أ. د.عبد الحكيم راضي ، أ.د. حسام أحمد قاسم - آداب القاهرة ٢٠١٠م.
٦- التأويل النحوي عند عبد القاهر الجرجاني . ماجستير. الباحث/ مجاهد مقصود مصلح . إشراف: أ.د. محمود فهمي حجازي ، أ.د. نصر حامد أبو زيد . آداب القاهرة/ ١٩٩٥م.

٧- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين . الباحث/ محمد إبراهيم شريف. إشراف الشيخ/ عبد العظيم معاني ، دكتوراه ، دار العلوم / ١٩٧٨م.

٨- السياق وتنوع التعبير عن الإدراك الحسي . الباحث/ إبراهيم سعيد عبده السيد . إشراف/ أ.د. حسن طبل - دكتوراه - دار العلوم/٢٠٠٩م.

٩- قراءة عبد الرحمن بن هرمز . دراسة صوتية وصرفية ونحوية ، ماجستير، إعداد الباحث/ صلاح عبد المعز العشيرى . إشراف/ أ. د. محمود محمد الطناحى ، و/ أ.د. وفاء كامل فايد ، و/أ .د . مأمون عبد الحليم وجيه (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

١٠- أوجه الاتفاق والاختلاف بين روايتي قالون عن نافع ، والدوري عن أبي عمرو- دراسة صوتية صرفية .الباحث/ الصادق أحمد عبد الكريم ، إشراف / أ. د. محمد إبراهيم الطاووس ، و/ أ. د. أحمد إبراهيم هندي (٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م).

١١- الآثار الصرفية والنحوية والدلالية للأداء النطقي للقرآن الكريم ، ماجستير، الباحث/ وليد مقبل السيد على . إشراف/ أ.د. شعبان صلاح - دار العلوم/ ٢٠٠٦م.

١٢- شعر أبى ذؤيب الهذلي ، معجم ودراسة صرفية ، الباحث/ سعيد سيد أحمد عبد الرحيم ماجستير.إشراف/ أ.د. حسين نصار ، آداب القاهرة ١٩٨٨م.

١٣- التأويل النحوي في الحديث الشريف ، دكتوراه – للباحث/ فلاح إبراهيم الفهدي. إشراف/ أ.د. طه محسن العاني . كلية الآداب ، جامعة بغداد.

١٤- التأويل النحوي عند الفخر الرازي (٦٠٦هـ) في مفاتيح الغيب ، الباحث /أكرم نعيم الحميداوي ، ماجستير. كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، إشراف/ أ.د. فاخر جبر مطر (١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م).

١٥- الدلالات الزمنية للأفعال في العربية – دراسة نظرية تطبيقية في نصوص سورة يوسف عليه السلام ماجستير.الباحث/ وليد محمد عبد الباقي ، إشراف /أ.د. علي أبو المكارم ، د. عرفة عبد المقصود ، دار العلوم (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

١٦- أثر التلوينات الصوتية في الدلالة القرآنية ؛ دراسة تحليلية أسلوبية ، الباحث/ أسامة عبد العزيز جاب الله - دكتوراه - آداب طنطا ٢٠٠٦م ، إشراف/ أ.د. محمد أحمد العمروسي ، أ.د. أحمد عبد الحي.

١٧- السجع القرآني – دراسة أسلوبية ، الباحثة /هدى عطية عبد الغفار ، ماجستير ، آداب عين شمس ، إشراف /أ.د. محمد عبد المطلب ، أ.د. عاطف جودة نصر/٢٠٠١م.

١٨- أثر الحركات في اللغة العربية (دراسة في الصوت والبنية) ، دكتوراه - للباحث/علي عبدالله القرني إشراف الدكتور/ سليمان بن إبراهيم العايد (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) – جامعة أم القرى.

١٩- الأبنية الصرفية في السور المدنية ، دراسة دلالية لغوية ، للباحثة/ عائشة محمد سليمان قشوع إشراف : أ.د./أحمد حسن حامد ، ماجستير ٢٠٠٤م ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس فلسطين.

٢٠- الصيغ الفعلية في القرآن :أصواتاً وبنية ودلالة ، للباحثة / ثريا عبد الله إدريس ، دكتوراه جامعة أم القرى ، إشراف : أ.د. أحمد علم الدين الجندي (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).

٤ - مادة الدراسة :

تفسير الظلال ، وهو الجانب التطبيقي ، مع الاستعانة بكتب إعراب القرآن وعلومه ، والإشارة إلى الجانب البلاغي باعتباره جانباً مهّماً في البحث اللغوي.

٥ - منهج الدراسة :

١- منهج التأويل الدلالي ، الذي يتجاوز حدود الألفاظ والمعاني الجزئية ليتشكل من خلال مساحة الرؤية الدلالية الكلية للنص ، ويعتمد على آليات متعددة منها : التأويل باعتبار دلالة النص باعتبار النص خطاباً يمكن أن يعرف المراد منه ، واعتبار دلالة الخطاب بالاستعانة بسياقه وبتحليل مستوياته اللسانية في مستويي الجملة والخطاب ، والتأويل باعتبار الدلالات اللغوية ، والدلالة النحوية باعتبار النحوباحثاً في صور الكلام وأنظمتهوركناً من أركان علوم اللسان العربي ، والتأويل باعتبار الدلالات المجازية.

٢- المنهج التحليلي للكشف عن الظواهر السياقية ، والتأويليةمبيناً بعض الآراء النحوية من خلال التوجيه النحوي ، والوقوف على ما في تفسير الظلال من لطائف لغوية ، وإبراز أثر الاستعمال اللغوي والبناء الأسلوبي لكشف معانٍ جديدة ...

٦- خطة البحث :

١- المقدمة : وفيها أسباب اختيار الموضوع - أهميته .

٢- التمهيد : ويتناول منهج المفسر في تفسيره ، ومنهجه في النقل عن الروايات ، وكذلك مصادره ومراجعه.

المدخل النظري : السياق آلية من آليات التأويل.

الفصل الأول : تأويل المفسر على المستوى الصوتي.

الفصل الثاني : التأويل على مستوي البنية الصرفية.

الفصل الثالث : التأويل على المستوى النحوي.

الفصل الرابع : التأويل على المستوى الدلالي والمعجمي.

الفصل الخامس : التأويل على المستوى البلاغي.

الفصل السادس : التأويل على مستوى الترابط بين الآيات والسور.

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج التي توصّل إليها البحث.

المصادر والمراجع

التمهيـــــــــــد

منهج المفسر:

هذا عرض موجز للقواعد التي سار عليها المفسر وما منعني من التفصيل إلا أني وجدتُ بحثا قيّماً للباحثة أسماء بنت عمر فدعق ، والتي حصلت به على درجة الدكتوراه ، بعنوان : " منهج سيد قطب في ظلال القرآن " تناولت فيه منهجه الذي سارعليه بالتفصيل في مجلدين ، وقد أحسنتْ فيه وأجادت ؛ فجزاها الله خيراً .

وهذه القواعد هي :

١- تفسير القرآن بالقرآن ثم بالحديث الصحيح والحديث القدسي أحيانًا وآراء الصحابة والتابعين.

٢-الأخذ من المفسرين السابقين وخصوصاً ابن كثير والقرطبي والطبري.

٣- يأخذ بالقاعدة المشهورة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٤- اختيار الآراء المناسبة للسياق.

٥- تقسيم السورة إلى أشواط أو مراحل (موجات) متتابعة. والربط بينها والتركيز على الوحدة الموضوعية لكل مقطع ثم للسورة كلها.

٦- ترك الاختلافات الفقهية قدر الإمكان.

٧- يرى أن الأخذ بالأحاديث النبوية أفضل من تتبع البحوث الفقهية ؛ فهو يوافق منهج السلف في ذلك.

٨- يذكر تجارب ذاتية تعمق فهم الآيات .

٩- الأخذ بالأحوط في فهم الآيات.

١٠-التوفيق بين الآيات التي يُظن أن بينهما تعارض.

١١- استخدام بعض الألفاظ والأمثال والأساليب العامية نحو (تدوس- تحشّ - كلمة ورد غطاها ... إلخ).

١٢- الاعتراف بقصور فَهمه وعلمه عند بعض الآيات وعدم قدرته على التعبير عما يشعر به.

منهجه في النقل عن الروايات

١-تحديد مواضعها أحياناً ، واختيار ما يناسب السياق.

٢-ذكرها نصًّا أحياناً أو ذكر مضمونها في أحايين أُخر.

٣-يذكر الروايات المختلفة أحياناً لتوضيح المعنى .

٤- نقد الروايات وبيان أوجه ضعفها.

٥- يقف أحيانًا موقفا وسطاً بين الرفض والقبول.

٦- يذكر مضمون الروايات المتضاربة ويأخذ بالأرجح مع بيان السبب.

٧-يأخذ أحياناً بالرواية الأضعف استناداً إلى الواقع التاريخي ويعرض الأدلة.

مصادره و مراجعه :

كانت متنوعة المشارب ؛ ففيها كتب التفسير ، كتب الحديث ، السيرة النبوية ، الكتب العلمية المترجمة ، كتب الفلاسفة والمناطقة ، كتب التاريخ والبلدان . كتب أهل الكتاب ، دواوين الشعراء ، كتب الفرق الإسلامية ، وغيرها .

المدخل النظري : السياق آليـة من آليات التأويل

المبحث الأول : التـأويـــل :

لقد كان مبحث التأويل من المباحث التي طرقها علماء الإسلام من مختلف الفرق والمذاهب وفيه تمايزت مواقفهم ؛ إما في التعريف للتأويل أو في الاقتصاد أو الإسراف أو التوسط في استخدامه ... وهو من المباحث الدقيقة التي اختلفت فيها الآراء سواًء في الفكر الإسلامي أو الأنساق الفكرية الأخرى ؛ حتى لقد تمايزت فيه الحضارات خاصة الغربية والإسلامية.[1]

ومن أشهر الذين قدموا التعريف الدقيق للتأويل :

١ـ الشـــريف الجرجـــاني (٧٤٠ – ٨١٦ هـ / ١٠٧٧ – ١١٤٣ م) الذي عرّفـه ومثل له ؛ فقال : **" التأويل :** في الأصل : الترجيع .. وفي الشرع : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يرامموافقاً للكتاب والسنة .. مثل قوله تعالى : ﴿ **يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيتِ** ﴾ **[الأنعام : ٩٥]** ، إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسواً ، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلاً .."[2]

٢ـ أما ابن رشـــــد (٥٢٠ – ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ – ١١٩٨م) ، فلقد عرّف التأويل بأنه "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية ، من غير أن يُخِلّ ذلك بعادة لسان العرب في التجوُّز ، من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارِنه ، أو غير ذلك من الأشياء التي عُددت في تعريف أصناف الكلام المجازي ... والمقصد من التأويل هو الجمع بين المعقول والمنقول".[3]

ومن معاني التأويل :

أولاً : <u>التفسير والبيان</u> :

يسمى التفسير تأويلاً ؛ لأننا أوّلنا الكلام ، أي : جعلناه يؤول إلى معناه المراد به ، كقول بعض المفسرين : " القول في تأويل قول الله تعالى ". ومن هذا المعنى قوله - صلى الله عليه وسلم - في ابن عباس : " **اللهمّ فقّهه في الدين وعلّمـــه التأويـــل " (صحيح الإسناد ـ رواه أحمد وابن حبان والحاكم)** ، وكقول عائشة الثابت في الصحيح : كانَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُكثِرُ أن يقولَ في ركوعه وسُجوده : **سُبحانكَ اللهُمَّ ربنا**

---

(١) التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين . دراسة نقدية لكتاب " بسط التجربة النبوية " / أ. د محمد عمارة- هدية مجلة الأزهر ، عدد جمادى الآخرة /١٤٣٣هـ - ص١١

(٢) المصدر السابق ، والشريف الجرجاني (التعريفات) - ط. القاهرة / ١٩٣٨- ص/٥٢

(٣) التأويل العبثي - ص/ ١٢ ، وابن رشد "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" ص ٣٢،٣٣ - دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة، ط٢ .(سلسلة : ذخائر العرب ٤٧) دار المعارف، القاهرة / ١٩٩٩م.

وبحمدِكَ اللهُمّ اغفرْ لي ؛ يتأوّلُ القرآنَ.(البخاري / ٨١٧) . وهذا النوع هو المعنى لمن وصل قوله تعالى : ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ﴾ [1] [آل عمران : ٧] أو بتعبير آخر : بيان المعنى كقوله : (لا ريب) يعني : لا شك فيه عند المؤمنين.[2]

ثانيا : **بمعنى عاقبة الشيء** ، مثل قول الله ليوسف عليه السلام لما خرّ له أبواه وإخوتهسجداً قال : ﴿ **هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ** ﴾ [يوسف : ١٠٠] ، و معناه : هذه وقوع رؤياي ؛ لأنه قال ذلك بعد أن سجدوا له والمقصود : الحقيقة التي يئول إليها الأمر: وهذا هو معناه في القرآن عند الوقف على قوله تعالى : ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ** ﴾ [آل عمران : ٧]

ومنه " حقيقة الصفات التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره : " الاستواء معلوم ، والكيف مجهول" ؛ فالاستواء معلوم المعنى ، أما كيفية ذلك الاستواء ؛ فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.[3]

ثالثا : وهو المعنى المتعارف عليه في اصطلاح المتأخرين (الأصوليين) : وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى احتمال آخر مرجوح لدليل يقتضي ذلك ؛ فإن كان صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً وليس بدليل على الصحيح ؛ فهذا تأويل فاسد ، مثل تأويلات المتكلمين لآيات وأحاديث الأسماء والصفات بدعوى التنزيه ؛ وإن كان صرف اللفظ عن ظاهرة بدليل شرعي صحيح في نفس الأمر فهذا تأويل صحيح مقبول.[4]

معني التأويل في اللغة :

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة وكتب المفردات للبحث عن معاني التأويل وجدنا ما يوافق المعاني السابقة ، وأنه لا يخرج عن ثلاثة معانٍ وهي :

١ - **التفسير وإرجاع الألفاظ إلى معانيها :**

ففي لسان العرب : " التأويل " مصدر : أوّل يؤول ، واشتقاقه من : " آل يؤول " بمعني عاد ورجع ، يقال : أوّل الكلام يؤوله تأويلا وتأوله :دبّره وقدّره . ويقول أبو عبيدة وثعلب : إن التأويل يعني التفسير.[5]

---

(١) نظرات على فهم النص ، أ. متولي البراجيلي . بحث مجلة التوحيد العدد ٨ شعبان ١٤٢٤هـ - ٢٧

(٢) التأويل النحوي في القرآن الكريم . الباحث : عبد الفتاح أحمد الحموز . دكتوراه . دار العلوم ١٩٨١م ، إشراف : أ.د.عبد الرحمن السيد .

(٣) نظرات على فهم النص /٢٦

(٤) التأويل بين أهل السنة والمبتدعة ، أ. متولي البراجيلي ، بحث بمجلة التوحيد العدد ١٤٣٠/٤٥١ هـ ، ص٦٦

(٥) لسان العرب ، مادة (أول)

وفي القاموس المحيط : أَول الكلام تأويلاً ، وتأَوله :دبّره وقدّره وفسّره.[١] ويقول الراغب الأصفهاني : " التفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل ، ولهذا يقال : تفسير الرؤيا وتأويلها"، وذكر أن أكثر استعمال التفسير في الألفاظ ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني.[٢] فهو بمعنى الرجوع . وكأنه رجّعه إلى أصله فهو من " الأُول ، يقال : آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً أي : رجع ، وأَول إليه الشيء : رجّعه ، يقال : أَول الحكم إلي أهله : رده إليهم.[٣]

٢ – **<u>العاقبة والمصير</u>** ، ومنه تأويل الكلام ، وهو عاقبته وما يؤول إليه ، نحو : " **هل ينظرون إلا تأويله** " أي : ما يؤول إليه بعثهم ونشورهم.[٤]

٣ – **<u>إنه مشتق من الإيالة ، وهي السياسة</u>** يقال : " آَل الرعية يؤولها إيالةً حسنةً ، وهو حسُن الإيالة ..... وهو مؤتالٌ لقومه مِقتال عليهم ، أي سائس محتكم."[٥]

وهذا وكأنه يسوس المعنى حتي يصل إلى تفسيره والمقصود به ؛ فهو مرتبط بالمعنى الأول.

التأويـــل اصطلاحا :ـ

ذكر الباحث أكرم الحميداوي – جزاه اللهخيراً - ملخصاً لمعنى التأويل عند كثير من العلماء فقال "

" مصطلح التأويل عند الأصوليين :

١ – هو"حمل اللفظ علي غير مدلوله الظاهر منه ، مع احتماله له بدليل يعضده).[٦]

٢ – نقل ظاهر اللفظ من وضعه الأصلي إلي ما يحتاج إلي دليلٍ لولاه ماتُرك ظاهُر اللفظ.[٧]

٣ - **(** نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره ، وعما وُضع له في اللغة إلي معني آخر).[٨]

مصطلح التأويل عند المفسرين :

---

(١) القاموس المحيط ، مادة : أول

(٢) المفردات في غريب القرآن (فسر)٢/ ٤٩١ نشر : مكتبة : نزار مصطفي الباز ، والتأويل النحوي في الحديث الشريف ، دكتوراه – للباحث / فلاح إبراهيم الفهدي . إشراف/ أ.د. طه محسن العاني . كلية الآداب ، جامعة بغداد .

(٣) لسان العرب ، مقاييس اللغة ، أساس البلاغة ، مادة : أول ، التأويل النحوي عند الفخر الرازي (٦٠٦هـ) في مفاتيح الغيب ، الباحث /أكرم نعيم الحميداوي ، ماجستير . كلية الآداب ، جامعة الكوفة إشراف/ أ.د. فاخر جبر مطر (١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م)

(٤) المصادر نفسها

(٥) أساس البلاغة ، مادة : أول

(٦) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي : تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، دار الصميعي ، ط ١ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)- ج٣/٥٠ ، والتأويل النحوي عند الفخر الرازي/ ١٥

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (٥٤٤ – ٦٠٦هـ) ت : أ.د .محمود محمد الطناحي ، أ. د. طاهر أحمد الزاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان- ج١/٨٠

(٨) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٤٢/١

١ – (صرف الآية إلي معني موافق لما قبلها وما بعدها ، تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة عن طريق الاستنباط).[١]

٢ – (نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة إلي معني أخر ؛ فإن كان نقله قد صحّ ببرهان ، وكان نقله واجب الطاعة فهو حق ، وإن كان نقله بخلاف ذلك طُرِح ، ولم ُ لتفت إليه ، وحُكم ذلك النقل الباطِل).[٢]

مصطلح التأويل عند النحاة :

١ – التأويل إنما يسوغ إذا كانت الجادة علي شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيُ تأول.[٣]

٢ – التأويل وسيلة يذلّلون بها كل صعب لينسجم النص المرويّ وقواعدهم المقررة.[٤]

٣ – إن لفظة التأويل تشيع في مؤلفات النحو المختلفة ، وهي تدور في فلك حمل النص علي غير ظاهره لتصحيح المعني أو الأصل النحوي.[٥]

وكل التعريفات السابقة - كما رأينا - متقاربة في المعنى وإن اختلفت الألفاظ.

التأويل النحوي :

أشار الباحث / فلاح إبراهيم الفهدي في رسالته عن التأويل النحوي في الحديث الشريف إلى أنه لم يجد عند االنحاةتعريفاً جامعاً محدداً للتأويل النحوي ، وإنما وجد التأويل فقط . وهذا حقٌ ؛ فمبحث التأويل كان بداية ظهوره في حقل الدراسات القرآنية ثم انتقل بعد ذلك إلى علم النحو كغيره من العلوم

ثم عرض عرضًا قيمًا لتدرج مصطلح التأويل النحوي في كتب النحاة ؛ فقال : " لم أقف عند النحويين المتقدمين علي تعريف دقيق لمصطلح : (التأويل النحوي) ، وإنما الذي كان شائعًا عندهم هو لفظ (تأويل) وحدها ، وهي كلمة يستعملها اللغويون كما يستعملها النحويون علي ٍحدّسواء مع الفارق الذي يرمي إليه كل فريق.

ويبدو أن المفسرين والأصوليين من أوائل الذين استعملوا هذه الكلمة ، فهم اتكؤوا عليها لتأويل نصوص القرآن الكريم وقراءاته ليحملوا آياته علي المعني الصحيح المراد أو علي المذهب الذي يريدون تأييده من خلال تأويلها علي وفق اعتقادهم .

واستعملها كذلك النحويون واللغويون ولم تبتعد عن معناها عند هؤلاء عما يريده منها أولئك ، فهي عندهم تدور في فلك (المعني) أيضاً ، ثم تطورت لتكون وسيلة للمحافظة علي الأصل النحوي الذي وضعه النحويون؛ فجاءت أكثر تأويلاتهم للنصوص دائرة في فلك المحافظة علي هذا الأصل من الشواهد التي قد

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١ (١٣٧٦هـ -١٩٥٧م)، دار إحياء الكتب العربية - ١٥٠/٢ ، التعريفات /٣٤

(٢) المصدر نفسه ٥٠/٣

(٣) الاقتراح في علم أصول النحو/ ٤٧ ، المزهر في علوم اللغة ٢٥٩/١

(٤) النحو العربي نقد وبناء /٢١

(٥) التأويل النحوي في القرآن الكريم ١٧/١

تزعزعه وتبعده ؛ فيسود الاضطراب علي ما أصّلوا وقّعدوا ؛ فكان التأويل الهرع الذي يهرعون ويلجؤون إليه عندما تتصادم النصوص والشواهد ...

أما (التأويل) النحوي فمع كثرة اعتماد النحويين عليه تكاد كتبهم تخلو من كلامٍ يضع حدّا لهذا المصطلح والمراد منه أو يوضح معناه إلا من بعض الإشارات التي يأتون بها عندما يريدون توجيه بعض النصوص لتتساق في طريق القواعد والأصول التي أصّلوها . وفي القرن الماضياستُعمل المصطلح استعمالا واضحا ، فقد عقد الدكتور محمد عيد في كتابه (أصول النحو العربي)[1] فصلا أسماه (التأويل النحوي) ، ووضّحه بقوله : (صرف الكلام عن ظاهره إلي وجوه خفية تحتاج لتقدير وتدبر).

بعد ذلك ظهر كتاب (التأويل النحوي في القرآن الكريم) للدكتور عبد الفتاح أحمد الحموز ، الذي اقتصر فيه علي الوقوف علي كلمة (التأويل) فقط ولم يبين المراد من المصطلح النحوي ، لكن الذي يفهم من كلامه أن المراد به دراسة تراكيب العربية من جهة الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والتضمين والحمل علي المعني وتقدير الإعراب أي : تخريج كل ما جاء علي غير قواعد النحويين وبأي طريقة من طرائق التخريج .

وتعرض جمهرة من النحويين المعاصرين إلي قضية التأويل النحوي علي نحو غير مباشر ولا سيما أولئك الذين دعوا إلي تيسير النحو العربي منهم الأساتذة إبراهيم مصطفي في كتابه (إحياء النحو) الذي صدر سنة (١٩٣٧م) وعبد المتعال الصعيدي في كتابه (النحو الجديد) الذي صدر سنة(١٩٤٧م) والدكتور شوقي ضيف في كتابه (تجديد النحو) الصادر سنة (١٩٨٤م) والدكتور مهدي المخزومي في كتابه (في النحو العربي نقد وتوجيه) سنة (١٩٦٤م) والدكتور محمد صلاح الدين مصطفي في كتابه (النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم) إذ وجّه هؤلاء الأساتذة نقدهم لمنهج القدماء في استنباط القواعد ومعالجة النصوص التي جاءت مخالفة لقواعدهم وما ذلك إلا نوعٌ من أنواع التأويل النحوي.

فقضية العامل التي دعا طائفة من المعاصرين إلي إلغائها تشغل حيزًا واسعًا من التأويل النحوي وكذلك تقدير الإعراب والتقديم والتأخير والتضمين وإدخال بعض أبواب النحو في بعض ، كل ذلك عبارة عن شكل من أشكال التأويل النحوي ....[2]

عناية النحويين بالتأويل :

" يلجأ النحويون عادة إلي التأويل حينما لا تسعفهم القواعد في توجيه الكلام أو النصوص وهم لا يريدون بذلك توجيه الشاذّمن الكلام ، وفي هذا يقول المبرد **(ت:٢٨٥هـ)** في ما نقل عنه ابن السراج **(ت:٣١٦هـ)** : " وليس البيت الشاذ ، والكلام المحفوظ بأدنى إسناد حجة على الأصل المجمع عليه في كلام ولا نحو ولا فقه ، وإنما يركن إلي هذاضَعفةُ أهل النحو ، ومن لا حجة معه . وتأويل هذا وما أشبهه في الإعراب

---

(١) أصول لنحو العربي /١٨٥

(٢) التأويل النحوي في الحديث الشريف - أطروحة مقدمة من الطالب / فلاح إبراهيم نصيب الفهدي ، إلي مجلس كلية آداب في جامعة بغداد ، إشراف الأستاذ الدكتور/ طه محسن العاني (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) . ص ٦- ٨

كتأويل ضعفة أصحاب الحديث وأتباع القصاص في الفقه "[1] ؛ فالمبرد أشار إلي أن الشاذ ونحوه يطرح ولا يعتني بتأويله.[2]

والنحويون لم يكونوا يتأولون ما كان لغة قوم تكلموا بها واشتهروا ، وفي هذا يقول أبو حيان الأندلسي **(ت :٧٤٥هـ)** فيما نقل السيوطي عن (شرح التسهيل) له : (التأويل إنما يسوغ إذا كانت الجادة علي شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول ، أما إذا كان لغة طائفة من العرب لم تتكلم إلا بها فلا تأويل).[3]

فالكلام المؤول قد يكون كثيراً لكنه لا يكون أكثر من الكلام الذي يُحمل علي ظاهره ، ولا يُكلف التأويل في النصوص الشاذة ، ولا اللغات فإنها لا تحتمل تأويلا ؛ لأنها لغة قوم بأعيانهم فهي الأصل عندهم ، وإن كان غيرهم يتكلم بخلافها ، ولكل قوم لغتهم ولسانهم ، وليس من الصواب أن نتأول لغة قوم لحساب لغة قوم آخرين.[4]

فالتأويل النحوي - إذن - هو امتدادٌ للفرق بين التفسير والتأويل ومواقف العلماء من هذه المسألة .. وهو حمل النص على غير ظاهره لتصحيح المعنى أو الأصل النحوي ، أو هو حمل الظواهر اللغوية على غير الظاهر للتوفيق بين أساليب اللغة وقواعد النحو.[5]

أسباب ظهور التأويل :

يقول الأستاذ الدكتور محمد عمارة " لقد نشأت الحاجات إلى التأويل من احتواء ألفاظ اللغة على الحقيقة وعلى المجاز .. وجاء الخلاف بين المفسرين للنصوص حول حمل اللفظ على معناه الظاهر الحقيقي أم على معناه المجازي غير الظاهر ؟ وحول أي الموقفين هو الأدق في الوصول إلى المعنى الذي أراده صاحب النص من وراء هذه الألفاظ؟.[6]

وعن الحكمة من وجود المتشابه الذي يحتاج إلى تأويل يقول : " ولقد تساءل البعض عن الحكمة من وجود المتشابه الذي يحتاج إلى تأويل ؟؟.. ولماذا لم يأت القرآن كلهمحكماً لا يحتاج شيء منه إلى تأويل ؟؟

وكان الإمام البيضاوي **(٦٨٥هـ /١٢٨٦م)** من الذين أجابوا على هذا التساؤل ؛ فقال : " إن فائدة وجود المتشابهات المحتملات ، التي لا يتضح مقصودها إلا بالفحص والنظر هو إظهار فضل العلماء ، الذين يزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها، وفي تحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها ؛ فينالوا

---

(١) الأصول في النحو ١٠٥/١ ، المصدر السابق /٩
(٢) الاقتراح في علم أصول النحو /٨٥
(٣) المصدر السابق /٨٥ ، التأويل النحوي في الحديث الشريف /٩
(٤) التأويل النحوي في الحديث الشريف /٩
(٥) ظاهرة التأويل وصلتها باللغة. د/ السيد أحمد عبد الغفار . دار المعرفة الجامعية .د.ت
(٦) التأويل العبثي / ٥

بها وبإتعاب القرائح في استخراج معانيها، والتوفيق بينها وبين المحكمات العالَي الدرجات" [١] فهو ميدان للاجتهاد والإبداع ، ينمي العقلانية المؤمنة دائًما وأبًدا .. وبه تظل الاكتشافات لأسرار القرآن وكنوز عجائبه مستمرة دائًما وأبًدا.[٢]

وكذلك من أسباب ظهوره والحاجة إليه " ورود آيات كريمة تحتوي الظاهر والباطن ، والمحكم والمتشابه ، والمُجمل والمُفصّل ، برزت الحاجة إلي تأويلها ، وتلمُّسِ معانيها ، لأن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف احتويا (نصوصا إذا أُخذتحرفياً أدت إلي التشبيه والتجسيم).

وقد وردت لفظة التأويل وصيغها في القرآن الكريم سبع عشرة مرة في خمسة عشر موضعًا ... فورود لفظة التأويل في القرآن الكريم ، وبصيغ متعددة ومقاصد مختلفة ومعانٍ متكثرة ، من أسباب ظهور التأويل كموضوع ومنهج ؛ فإذن " الفضل في ظهور التأويل – كموضوع ومنهج ، له أصحابه ومفكروه الذين نظروا فيه وأضافوا إليه ، وطّوروه فيما بعد – يعود للقرآن الكريم."[٣]

فالتأويل ُعد محاولة لاكتشاف دلالة تلك الآيات بتوجيههاتوجيهاً مجازياً باستخدام آليات مختلفة تتناسب مع الثوابت القرآنية وحقائق التشريع الكلية علي أساس رد المتشابهات من الآيات إلي المحكمات منها ، وهذا هو التأويل المشروع ، وما عداه يعدتأويلاً ، يتبع الهوى والرأي ، وغايته (ابتغاء الفتنة).[٤]

<u>أما عن أسباب ظهوره في مؤلفات النحو بعد ذلك فقد كانت هناك أسباب كثيرة لحمل النص القرآني على غير ظاهره منها :</u>

١- نظرية العامل : مثل حذف الفاعل أو الفعل ، أو حذف حروف الجر ...إلخ

٢- الافتنان في الأوجه الإعرابية.

٣- المعنى في المواضع التي لا يصح حمل النص على ظاهره وإلا فسد المعنى (عند بعض الفرق) ؛ فلا بد من التأويل عندهم .

٤- المذاهب (الشيعة – المعتزلة).

٥- الاحتجاج للقراءات ؛ لإبعادها عن الضعف والشذوذ أو إخضاعها للأصول النحوية خوفًا عليها من الانهيار.

٦- الأصل النحوي ؛ لكيي ُصحّحوا أصولهم النحوية. [٥] فقد لجأ النحاة إليه للتوفيق بين القواعد وبين الأصول المخالفة لها ، المنسوبة في الوقت نفسه إلى عصر الاستشهاد ، أما ما لا ينتسب إلى عصر

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٦/٢ (بتصرف) ، ط ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م.
(٢) التأويل العبثي/١١
(٣) التأويل النحوي عند الفخر الرازي في مفاتيح الغيب /١٥
(٤) التأويل بين أهل السنة والمبتدعة /٦٨
(٥) التأويل النحوي في القرآن الكريم/٤٥

الاستشهاد من هذه النصوص ؛ فقد كان الرفض هو السمة البارزة التي توضح موقف النحاة منه ، وكان التعبير عن هذا الموقف في أكثر الأحيان يتخذ اصطلاح الشذوذ".[1]

الألفاظ التي تعبر عن التأويل :

يستخدم العلماء ألفاظاً مختلفة في مؤلفاتهم تعبر عن معنى التأويل ودلالته ومنها : " التخريج - الحمل – التوجيه – التقدير – الوجه – الاعتقاد – الاحتمال – الحيلة – التمحل – القانون ...إلخ.[2]
وقد استخدم سيد قطببعضاً منها مثل : الوجه – المعني – الاحتمال ..." وغير ذلك مما سيقابلنا في الدراسة بإذن الله تعالى.

شـــروط التأويـــــل :

وضع العلماءشروطاً لقبول أي تأويل ، أو لمن يدخل باب التأويل – وخصوصاً عند التعامل مع القرآن الكريم - وذلكضماناً لسلامة فهم النص القرآني وعدم العبث بمعانيه ، يقول الدكتور محمد عمارة : "من هذين التعريفين الجامعين لمعنى التأويل ولضوابطه (تعريف الشريف الجرجاني – تعريف ابن رشد) في مُجمل تراث الإسلام يستبين التأكيد على ضرورة توفر الضابط الديني والضابط اللغوي للتأويل ؛ فليس كل تأويل بجائز ، وإنما لا بد لصرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله ، أن يكون هذا المعنى مما يحتمله ظاهر اللفظ ، وأن يكون هذا الاحتمالموافقاً للكتاب والسنة ؛ أي : للنصوص المحكمات ؛ لان التأويل - في جوهره - هو رد المتشابهات إلى المحكمات ، والجمع بين المنقول والمعقول .. أو الجمع بين " المعنى" و "معنى المعنى" بتعبير عبد القاهر الجرجاني **(٤٧١ هـ / ١٠٧٨م)**.[3]

نظرية الإمام ابن رشد في التأويل :

يقول الدكتور محمد عمارة : " ولأن ابن رشد قد تبوأ مقعد فقيه الفلاسفة وفيلسوف الفقهاء ؛ فلقد وضع للتأويل " نظرية جامعة " ، لعلها كانت - ولا تزال - مِن أحكم ما صيغ في هذا المقام ، ونحن نستطيع أن نوجز عناصر قانون التأويل ونظريته عند ابن رشد في عشر نقاط هي :

١- أن التأويل جائز.
٢- وفي المواطن التي يقوم فيها البرهان على استحالة المعنى الظاهر من اللفظ .
٣- وبشرط تحقق شروط اللغة في المجاز الذيتُخرج فيه دلالات الألفاظ من حقيقتها إلى مجازها.

---

(١) أصول التفكير النحوي /٢٣٢
(٢) التأويل النحوي في القرآن الكريم/٤٥
(٣) التأويل العبثي /١٣، دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني /٢٦٣، ت. محمود محمد شاكر ، ط . القاهرة سنة ٢٠٠٠م

٤- وفيما لم يثبت فيه إجماع يقيني على أن المراد هو ظاهر اللفظ.

٥- وبترشيح دلالات ظواهر بعض النصوص على مواطن التأويل في بعضها.

٦- ومن أجل الجمع بين المعقول والمنقول ،لا المقابلة بينهما، والانحياز لأحدهما تجاوزًا للآخرأو نفيًا له.

٧- على أن يظل التأويل حقًا للخاصة من الراسخين في العلم ، لايُصَرَّح به للعامة ، ولا يثبت في كتب الجمهور ؛ حتى ولو كان تأويلاً صحيحاً ًمستجمعاً لشروط التأويل وضوابطه .. وبعبارة ابن رشد : **(فهذا التأويل لا ينبغي أنيُصَرَّح به لأهل الجدل فضلاً عن الجمهور . ومتى صُرح بشيء من هذه التأويلات لمن هو غير أهلها ...أفضى ذلك بالمصرّح والمصرَّح إلى الكفر.. فلا يجب أن تثبت التأويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية فضلاً عن الفاسدة .. وأما المصرّح بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر) .**

٨- أما أخبار عالم الغيب ، وكذلك المعجزات ، ومبادئ الشريعة وكل ما لا يستطيع العقل الإنساني الاستقلالَ بإدراك كنهه ، فلقد أوجب ابن رشد أخذَه على ظاهره دون تأويل ؛ لأن هذه العقائد عنده مماتُعلم بنفسها ...

٩- حتى الحكماء من الفلاسفة - برأي ابن رشد – لا يجيزون تأويل أخبار الغيب ومبادئ الشريعة والمعجزات .. ولا يجوز عندهم التكلم ، ولا الجدل في مبادئ الشرائع ، وفاعل ذلك عندهم محتاج إلى الأدب الشديد ؛ وذلك أنه لما كانت كل صناعة لها مبادئ وواجب على الناظر في تلك الصناعة أن يسلم مبادئها ولا يتعرض لها بنفي أو إبطال ، كانت الصناعة العملية الشرعية أحرى بذلك ؛ لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندهم ..

١٠- ويرى ابن رشد أن الإفراط في التأويل بعد عصر الصدر الأول للأمة هو المسئول عن أمراض الاضطراب والفرقة والتكفير التي شاعت وانتشرت ..[١]

ومن شروط التأويل الصحيح في النصوص أيضا عند أهل العلم :

١- أن يحتمل اللفظ لغة هذا المعنى المرجوح.

٢- ورود ما يفيد وجوب هذا التأويل لظاهر النصوص الشرعية من النبي ﷺ إذ يمتنع اقتضاء صرف نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها بدون بيان وإرشاد من النبي- صلى الله عليه وسلم.

٣- بيان النبي ﷺ لذلك ، وأن ظاهر النص غير مراد. ٤- سلامة دليل التأويل من معارض.[٢]

فإن كان التأويل لغير دليل ؛ بحيثيُصرف اللفظ عن ظاهره وما يفهمه كل عربي عن معناه ؛ فهو من تحريف المعنى.. وهو تأويل فاسد غير ُمستساغ ، وهو باب عريض دخل منه الزنادقة لهدم الإسلام ؛ حيث حرّفوا النصوص وصرفوها عن معانيها الحقيقية وحملوها من المعاني ما يشتهون.[٣]

---

(١) التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين . د محمد عمارة/١٧ ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال/٣٢- ٦٥

(٢) مجلة التوحيد العدد ١٤٣٠/٤٥١ هـ / بحث بعنوان : التأويل بين أهل السنة والمبتدعة /٦٨ (٣) المصدر نفسه.